مقاربة التطرف والإرهاب من زاوية نعوم تشومسكي.

باقـــي عبد السلام*

اشراف: أ.د/ بوشيبة محمد•

يُكون الانسان علاقات مختلفة مع بني جلدته وفق ما أملته الغريزة عليه ، فهو اجتماعي بطبعه على حد تعبير دوركهايم ، كما أنه يسعى لأن تكون هذه العلاقات ناجحة من خلال التعاملات اليومية ، والواضح أن الفرد أثناء هذه المعاشرات يصاب في كثير من الأحيان بخيبات أمل ناجمة عن التضاربات الفكرية التي تؤثر فيها العادة والتربية والتنشئة التي تلقاها الأفراد ، وكذا دور العوامل الذاتية الأخرى كالميل والاهتمام والرغبة ، والواضح أيضا أن هذه الخيبات تمارس نشاطا لا شعوريا في نفسيات الأفراد ، فيصيح الانسان دون أن يدري أو يعي يميل إلى من يتوافق معه وينسجم فكريا وينزع عمن يختلف عنه ، بل وفي أحيان كثيرة يبدأ شعور الكراهية في التنامي شيئا فشيئا داخل نفسية الفرد ضد هذا الآخر الذي يمثل في لحظة الزمن هذه العدو الفكري ، وبما أن الاختلافات الفكرية في الغالب تسند إلى توجهات فكرية معينة أو إلى أشخاص ذو نفوذ فكري ذائع ، فإن النتائج التي تترتب على ذلك داخل المجتمع الواحد تكون في الغالب مشحونة بالانفعالية والتعصب والنرجسية لمذهب من المذاهب بل إلى مفكر من المفكرين في كثير من الأحيان ، لينتقل هذا الآخر بعد ذلك للعدو الإيديولوجي الذي يمثل خطرا على حياة المجتمع ككل في نظر الآخرين الذين أصابتهم نفس الأعراض ، وهذه هي بدايات الانحراف الخلقي والسلوكي داخل كل المجتمعات المعاصرة في ظل العولمة والعصرنة وغزو الآلة والتكنولوجيا وفتك البروباغندا والإعلام المنحرف.

إن التأثيرات التي تتحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة قصدية أو عفوية في ذهنية وسلوك الفرد ومن ثمة في المجتمع ككل ، هي السبب الحقيقي الذي يؤدي إلى نشأة التطرف والإرهاب داخل المجتمعات وخارجها ، ونقصد بالخارج هنا كل تطرف وإرهاب موجه من مجتمع نحو مجتمع آخر ، أو من مجتمع ذو قوة نحو مجتمع ضعيف ، أو من مجموعة براغماتية نحو مجموعة منهوبة ، أي على مستوى السياسات ، لذا ارتأيت أن تلم هذه الورقة بالأسباب الحقيقية للتطرف والإرهاب ، وكذا هذين المفهومين من زاوية

* باحث جامعة وهران.

• استاذ التعليم العالي جامعة وهران2.

الرؤية الغربية ، من خلال الإشكالية التالية:ما مفهوم كل من التطرف والإرهاب ؟ وكيف يفسر مفكروا وفلاسفة الغرب هذه الظاهرة ؟ وما موقف نعوم تشومسكي ورؤيته من ذلك ؟

التطرف: L'extrémisme

التطرف ظاهرة انسانية خاصة فهي مصدر كل عنف محتمل أو مصدر كل ارهاب قادم ضد البشرية، كما يمكن أن نصفه بأنه مصطلح نمطي يحمل معان ومرادفات كثيرة ، لذا وجب ضبط مفهومه أولا.

التطرف كمصطلح دقيق في الفلسفية لم ينل حضا وافرا من الاهتمام، ويرجع ذلك ربما لجدته في الاستعمال، لكن له مرادفات كثيرة كما تقدم، فعلى سبيل المثال نجد لمصطلح التطرف عند لالاند أن له مرادفين هما "الاقصاء" أو "النقيض".

"أقصى نقيض (طرف) **EXTREME** ملاحظة، أقصى أو نقيض بالمعنى أ، ب، ج، يتميزان من مفرط(*) **excessif**، وحتى إنهما قد يتعارضان معها: فهذه الكلمة الأخيرة تتضمن فكرة حد جرى تجاوزه ولم يكن من المفروض أن يحدث ذلك، إن ما يميز نظرية <<الوسط الصحيح>> هي أنها تماهي، في مرتبة معينة للأشياء؛ (خطأً أو صواباً)، بين أقصى ومفرط."[1]

بمعنى أن هذا المصطلح يشير إلى تجاوز الأمر حده النهائي، فينقلب هذا الأمر من حقيقته إلى حقيقة أخرى تماما، أي أن الأمر يزيد عن حده زيادة تجعل العقل ينحصر فيه إلى درجة الغلو. وكأن لالاند يشير بطريقة غير مباشرة إلى فكرة الدغمائية ويربطها بفكرة التطرف لتعبر عنها تعبيرا دقيقا.

يتناول جميل صليبا هو الآخر معنى التطرف من "الطرف **Extréme**"، لكن من زاوية منفردة تماما، حيث يرى أن: "الإطراف في علم الأخلاق هي الرذائل، أما الفضائل فهي اوساط بين اطراف (آرسطو ومسكويه)..." [2]، ما يهمنا في تعريفه أنه ربطه بموضوع بحثنا هذا مباشرة، من خلال سرد معناه من مجال خلقي، وهو الفهم السائد آنيا في العالم أجمع، حيث بمجرد أن يتكلم الشخص منا عن التطرف يفهم منه مباشرة التطرف الخلقي ذو الخلفية الدينية، وربما يعود ذلك إلى التضليل الاعلامي الكبير حول الإسلام كدين في البداية ثم تليه بعض الديانات الأخرى.

1 – أندريه، لالاند،: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت (لبنان)، الطبعة الثانية، 2001، ص، 401.

2 – جميل صليبا،: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبنانية، بيروت–لبنان، د. ط (دون طبعة)، 1982، ص، 19.

إن هذا التعريف الذي يعرفه جميل صليبا يدل على أن القيمة الخلقية للفعل الخيّر بمجرد أن تزيد عن حدها تتحول إلى قيمة خلقية سيئة أي إلى رذيلة، أما القيمة الخيرة للفعل الخلقي فذات مكانة معتدلة وسطية، وهي حقيقة لا مفر من التأكيد عليها ولعلي لدعم رؤيته هذه سأتطرق لبعض النصوص الأساسية من القرآن الكريم ، ونذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (البقرة، الآية، 143) [1]، بمعنى أن بين الفضائل والرذائل خيط رفيع لا يكاد يرى يحول الفضيلة إلى رذيلة دون شعور صاحبها بها، فالرذيلة كرذيلة هي واضحة بذاتها لدى كل الناس، كاتفاقنا المطلق على أن السرقة مثلا رذيلة، والفضيلة هي الأخرى واضحة بذاتها، كاتفاقنا أن مساعدة الضعيف مثلا فضيلة، أما الحذر هو في اعتقاد صاحب الفضيلة أن الفضيلة مقتصرة عليه وعلى زمرته فقط في مقابل ما يرى عامة الناس وأغلب أو بعض علمائهم، وهنا يتحول صاحب الفضيلة وزمرته إلى التعصب في فهم الفضيلة فتصبح رذيلة.

إن نظرتنا الدينية إذن ترفض التطرف الخلقي، ومادام أنها ترفض ذلك فهي ترفض كل أنواعه الأخرى سواء فكري أو سلوكي أو عقائدي...، لكن مادام أننا ربطنا موضوعنا بالرؤية الغربية متمثلة في شخص نعوم تشومسكي وجب أن نشير إلى فهم دول الغرب لفكرة التطرف، حيث ربطوها مباشرة بالإسلام وهي فكرة جد شائعة لديهم، رغم أن الإسلام كان واضحا جدا في تعامله معها، بل تعدى الأمر ذلك إلى إنكار الإسلام في كثير من نصوصه على بعض أتباع بعض الديانات الأخرى تطرفهم الذي لم يأمرهم دينهم به، كما هو الحال لدى المسيحيين في موضوع الرهبنة، حيث يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾. [2]

مما سبق يتضح أن هناك بعض اللبس بين معنى التطرف الذي يظهر على أنه مفهوم شاسع ومصطلح الإرهاب الذي يبدوا أنه ينضوي تحت معنى التطرف، لذا يجب أن نضبط مفهوم الإرهاب حتى يتضح هذا اللبس.

---

1 – تتعدد التفاسير للآية الكريمة لكن الراجح فيها أن "الوسطية" يقصد بها: الوسط هو العدل، مصداقا لقوله تعالى (قال أوسطهم) [القلم 28] أي أعدلهم، وقول أبي سعيد الخدري عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: " أمة وسطا، قال: عدلا" وقال عليه الصلاة والسلام:" خير الأمور أوسطها" أي أعدلها.... أنظر: التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص، 89.

2 – الحديد، الآية، 27.

الارهاب: Terrorisme

تشتق كلمة (الإرهاب) في اللغة العربية من الفعل (رهب) والذي يعني خاف، والملاحظ أن لها معان متعددة أو تستعمل استعمالات متنوعة على حسب الأحول والخطابات، ومن هذه الاستعمالات نجد لـ "رهب" دلالتين في معجم مقاييس اللغة وهما كالتالي:

<< فالأوَّل الرَّهْبة : تقول رهِبْت الشيءَ رُهْباً ورَهَباً ورَهْبَة . والترهُّب : التعبُّ . ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْع الإبل من الحوض وذِيادُها .

والأصل الآخر : الرَّهْب : الناقة المهزولة . والرَّهاب : الرِّقاق من النِّصال ؛ واحدها رَهْبٌ . والرَّهاب : عظمٌ في الصَّدر مشرفٌ على البَطن مثلُ اللِّسان. >> [1] .

من مفهوم الإرهاب المعجمي هذا والذي يعني منع الإبل وطردها عن محاميها، ندرك أن الإرهاب عندما يوجه نحو البشرية يحمل خطر كبيرا يتمثل في شتات الناس وتهجيرهم من بيوتهم وترويعهم ، وهو ممارسة لفظية أو مادية يقوم بها الأقوياء ضد الضعفاء دون رحمة ولين في غياب تام للإنسانية ومقوماتها.

وكلمة (الإرهاب) في لسان العرب مأخوذة من الفعل (رهب) أيضا والذي يعني خاف، ورهب الشيء بمعنى خافه، ويستأنس ابن منظور مما هو مذكور في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الذي يجمع فيه بين (الرغبة والرهبة) حيث تدل الرهبة هنا على الخوف والفزع [2]، وبالتالي كلمة الإرهاب المأخوذة من الرهبة في اللغة العربية معناها الترويع أو التخويف والإزعاج أو ممارسة العنف بشتى أنواعه المادي والمعنوي.

كما يمكن أن يستعمل فعل (رهب) للدلالة على القوة وإرعاب الخصوم وتخويفهم من خلال بث الوهن في قلوبهم قبل المواجهة المحتملة، ومن أبرز ما يمكن أن يستدل به ما دعا الله سبحانه وتعالى له في كتابه العزيز في قوله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

1 – أحمد، أبي الحسين، بن فارس، بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ 1979م، ص، 447.
2 – ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة، 1981، ص، 1748.

يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ، وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1]، وهذه الدعوة هنا تدل على السلم أكثر مما تدعو للعنف، فإعداد العدة للعدو مقصده البحث عن الأمن والسلم للطرفين، ذلك لأن تعاليم الدين الإسلامي واضحة في هذا الصدد وجلية، فهي تدعو إلى التسامح والتعايش بين البشر، بل حتى التبشير وتبليغ الرسالة المحمدية ليس بالإجبار، ويمكن أن أسوق بعض الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[2] وهذا لما يتعلق الأمر باستعمال القوة أثناء الفتوحات الإسلامية، بحيث أبرز الله عز وجل أن حرية الاعتقاد واجبة الاحترام وألا يجبر الناس على اعتناق الإسلام، ويقول أيضا مخاطبا نبيه في هذا الصدد ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ اَلنَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

ومن المواقف التي تؤكد أن الإسلام لم يستعمل مصطلح الرهب إلا بالقدر الذي يكف به المسلمين الأذى عن أنفسهم ما حدث في فتح مكة، فقوة المسلمين وعدتهم لحظتها لم تكن لإبادة غيرهم من كفار قريش بل كانت لإرهابهم عن خطر المواجهة المحسومة منذ البداية، هذه المواقف لا يمكن أن يجد التاريخ في سير البشر مثلها، ولعلي سأفصل قليلا هنا حين دخوله مكة عليه الصلاة والسلام في ثوب العزيز المنتصر وبلا قتال بعد ما عاناه من الفراق والتهجير لما أخرجه كفار قريش منها مطرودا، وبعد ما لاقاه من قريش من سلب ونهب لأملاك المسلمين المهاجرين، وما واجهه منهم من حروب وغزوات وتشريد في الفيافي والجبال، وأثناء وقوفهم بين يديه في ذلك الموقف الجلل، قام عليه الصلاة و السلام بسؤالهم (" يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم ؟ " قالوا : " خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم" قال : " فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اَلْيَوْمَ﴾" اذهبوا فأنتم الطلقاء")[4] .

وغير بعيد عن هذه المعاني اللغوية يذهب الفيروزآبادي ليوضح أن فعل أرهب من رهب يدل على الركوب أي ركبه كما يدل على النصل الرقيق، كما يؤكد أيضا المعنيين المذكورين سابقا إضافة إلى بعض المعاني الأخرى.[5] والملفت للانتباه هنا هو معنى الركوب وكأن ممارسة الإرهاب على البشر هي الركوب عليهم وهي نظرة مليئة بالاستعلاء والعنصرية والأنانية وكل ما هو شر، بمعنى أن الإرهابي هنا ذلك الذي يرى نفسه أعلى من ضحاياه، ويمكن أن يكون هذا الاستعلاء فكريا وهو الإرهاب الأخطر على

1 – الأنفال، الآيتان: 60، 61.

2 – البقرة، الآية، 256.

3 – يونس، الآية، 99.

4 – المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، د.ط، 2001، ص، 405.

5 – محمد، مجد الدين، بن يعقوب، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، إش: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ط.8، 2005، ص، 92.

الإطلاق في نظري، لأن هذا النوع من الإرهاب ممارسة يقوم بها اليهود دون غيرهم من البشر، لذا نجدهم يسيطرون على العالم اليوم، فهم يستعملون أي شيء ليبقوا في صدارة الوجود، فاعتقادهم الدائم هو أنهم شعب الله المختار، كما يذكرني هذا بما كان يردده سيد قطب في محاضراته العلنية وتسجيلاته العديدة لما كان يقول أن اليهود بأفكارهم هدموا المجتمعات الأوروبية النصرانية في مختلف المجالات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية، وقد كان يردد دائما مصطلح استحمار الشعوب الأوروبية، أي من الممكن أنه كان يترجم فكرة الركوب السالفة الذكر بطريقته، كما أن هذه الفكرة موجهة ضد المسلمين أكثر من النصارى بما أنهم العدو المباشر لهم.

إذن من خلال ما تقدم يتضح أن الغربيين يجعلون التطرف وليد الدين الإسلامي، ويربطونه ربطا مباشرا بالإرهاب ، كما يصفون كل مسلم يلتزم بمظاهر الإسلام بالمشبوه المتعصب والمتطرف والإرهابي ، فأصبح الآن مصطلح الإرهاب المتطرف منوط بالمسلمين دون غيرهم ، وهناك أدلة عديدة تثبت ذلك نذكر منها ما يمكن أن يثبت لنا هذه الرؤية الغربية ، حيث نجد ما ذهب إليه الباحث الفرنسي "أوليفييه روا" في كتبه التي تحدث فيها عن الاسلام الراديكالي أين يتناول قضية التطرف بتحليلات أكثر واقعية ومنطقية، نتيجة الميل والاهتمام الذي أظهره حول الراديكالية الاسلامية واهتمامه المتزايد والمتنامي كغيره من المفكرين الغربيين بموضوع تنظيم القاعدة وما تحمله من أخطار وتهديدات ليس لأوروبا والولايات المتحدة فقط بل للعالم ككل.

يعتقد أوليفييه روا (Olivier Roy) أن الراديكالية الاسلامية هي البذرة الأساسية لنشوء التطرف الديني الذي تولد عنه الارهاب العالمي الذي هو مربوط بالدين الاسلامي في مجمله،[1] وقد نشأت هذه الراديكالية نتيجة الضيق التي تعيشه المجتمعات الاسلامية في العالم سواء تعلق الأمر بإفريقيا أو آسيا أو حتى دول أوروبا، هذا الكرب المعيشي على جميع المستويات سرعان ما تمخض عنه فعل الهجرة للعالم المتقدم، والذي انتشر في أوساط هذه المجتمعات انتشار النار في الهشيم.

كما يؤكد أوليفييه روا أن المهاجرين وجدوا سعة الرحب في الدول الغربية، وسمحت لهم هذه المجتمعات بالاندماج السريع داخلها، لكن حسبه كان هناك فشل فالاندماج الثقافي بين المهاجرين والمجتمعات المضيفة، لأن لهم خلفية دينية مشتركة رغم اختلاف مصادرهم جعلتهم يبنون جغرافيات خاصة بهم داخل المدن وحتى الأحياء.

1 – روا، أوليفيه: تجربة الاسلام السياسي، تر: نصير مروة، دار الساقي، بيروت، ط.2، 1996، ص، 110.

بداية الخطر الحقيقي عند أوليفييه روا هي هذه الجغرافيات خصوصا بموت الجيل الأول وبداية ظهور الفوارق في العادات والتقاليد، وهو الانحناء الخطير نحو التطرف، هذا من جهة، أما من جهة ثانية فقد تحدث روا أيضا عن الدور الخطير والسلبي الذي لعبته العولمة في تفكيك وتمزيق اللحمة المجتمعية داخل المجتمعات، فأصبح الفرد لا يهتم ببنيته الدينية والثقافية التقليدية، واتجه إلى البحث خارجا، الأمر الذي أدى حسبه إلى إحياء وتقوية الطابع الديني بدل اضعافه، هذا أدى هو الآخر إلى بروز التطرف الديني الأصولي الناتج عن "الجهل المقدس" كما يطلق عليه، لأنه لم يكن إيجابيا خالصا، وهو يضع نفسه في ميزان معاد تماما للتحضر والتفتح والديمقراطية وحتى مع الأديان الأخرى.[1]

يمكن أن نظيف تهيئة أخرى قبل التوغل أكثر في الموضوع الأساسي من خلال سرد رؤية برنارد لويس وتحليلها، حيث يعتبر أن معظم المسلمين ليسوا من الأصوليين، كما أن معظم الأصوليين ليسوا إرهابيين، لكن معظم الإرهابيين في عصرنا مسلمون ويفخرون بتحديد هويتهم على هذا النحو، ويرجع ذلك إلى التقلبات الكبيرة التي شهدتها الخلافة الإسلامية والتي انتهت باختفائها وهو الذي حز في نفوس المسلمين كثيرا وأثر عليهم، وبالتالي ظهور الارهاب الاسلامي نتيجة منطقية لاختفاء الخلافة.[2]

ندخل الان الى صلب موضوعنا بتقديم بعض الأدلة التي يمكن أن تثبت لنا هذه الرؤية الغربية، من خلال عرض موقف نعوم تشومسكي الذي يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تستعمل في سياستها الخارجية وحتى الداخلية الكثير من المصطلحات كمصطلح الإرهاب، وليست وحدها فقط بل كل القوى الاستعمارية والمنظمات الدولية الخادمة لها تستخدم كلمة «الإرهاب الدولي» الناتج عن التطرف الفكري لتبرير المواجهات العسكرية أو المغامرات العسكرية الخارجية، وقد كان الرئيس الأمريكي رونالد ريجان (Ronald Reagan) أول من زرع بذرة الإرهاب المتطرف وضرورة الحرب ضده، وربطه بدول العالم الإسلامي وبعض الدول الأخرى، لكن حقيقة الأمر حسب تشومسكي وهو ما أخذه عن وزير الخارجية الأمريكي آن ذاك والذي يصفه بأنه معتدل، أن الرئيس ريجان كان يقصد العالم الإسلامي أو الشرق الأوسط [3]، ومن هنا بدأت تحاك المؤامرات الدنيئة حول العالم الإسلامي بحجة التطرف والإرهاب، والتي كان أبرزها الإعلان الثاني عن الحرب على الإرهاب في2001. حيث قال جورج

1 – المرجع السابق، ص، 111.

2 – الجوجري، عادل: برنارد لويس سياف الشرق الأوسط ومهندس سايكس بيكو 2، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة، ص، ص، 30، 32،31.

3 – تشومسكي، نعوم: السيطرة على الإعلام، تر: أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، ص، 38.

بوش الابن في حادثة الهجوم على برجي التجارة العالمية (11 سبتمبر 2001م) وعلى المباشر في وسائل الإعلام "ستعود الحروب الصليبية من جديد"، وكان المقصود هنا ضرورة الحرب على الإرهاب.

بالتالي فهذا المصطلح يستعمل كمرادف للتعبير عن «الحرب المشروعة»، هذه الحرب التي يرى تشومسكي أنها في الحقيقة حرب الضعفاء ضد الأقوياء، أو بتعبير أدق حرب المصالح، بحيث أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تحارب مع حلفائها كل من يعارضها ويقف ضد استمرار مصالحها، بل حتى من يدافع عن نفسه فيقذف حجراً أو يُطلق رصاصة على من يحتل أرضه ويسلبه كرامة مواطنيه يسمى « إرهابياً مدفوعاً ».

لقد أخضعت الولايات المتحدة كل دولة من دول العالم الثالث والعالم النامي وحتى الكثير من دول العالم المتطور لسياستها، وأي معارضة لذلك فهذا يعني أنها قد عارضت الديمقراطية، وحاربت الحرية، ووقفت ضد حقوق الإنسان، وهو ما يجعل هذه الدولة عرضة لحرب أمريكية تستعمل فيها كل أنواع الأسلحة؛ مشروعة كانت أو غير مشروعة، ذلك لأن الولايات المتحدة هي راعي هذه الشعارات وحامية العالم من الشرور المختلفة، حيث نجد أن تشومسكي قدم العديد من الأمثلة في هذا الصدد، ويمكن أن نختار منها ما يلي:

"بالمقابل إيران دولة إرهابية لأنها لم تخضع نفسها للمصالح الأمريكية. وشيء ممتع أن نرى كيف اعتبرت إيران دولة إرهابية لأنها تدعم حزب الله في لبنان الذي وصف كمنظمة إرهابية. الآن لماذا حزب الله منظمة إرهابية؟ حزب الله, مهما كان رأيك فيه, يقاتل ضد احتلال عسكري أجنبي أمرت برحيله الولايات المتحدة ومجلس الأمن منذ 22 سنة. والآن هذا ليس إرهاباً"[1].

يظهر جليا من ذلك أن الولايات المتحدة توظف مصطلح الإرهاب كمصطلح سياسي في عدة مجالات أهمها المجال الاقتصادي الذي دائما ما يكون هو الهدف الأساسي، أي أن الولايات المتحدة –وكما أشرنا سابقا– تسعى دائما إلى المال والأعمال، وبمعنى آخر المصالح والفوائد، لأن مرجعيتها بالدرجة الأولى هي مرجعية براغماتية خالصة.

1 – تشومسكي، نعوم: أشياء لن تسمع بها أبدا...، تر: أسعد الحسين، دار نينوى، دمشق، د. ط (دون طبعة)، 2010، ص، 193.

وقد أكد تشومسكي رأيه هذا بعرضه للكثير من الأمثلة الاستدلالية المختلفة والمتنوعة، فمصطلح الإرهاب هذا هو مصطلح نمطي حربائي إن صح القول في السياسة الأمريكية، فهو يستعمل بطرق متعددة وفي أماكن متنوعة، والملفت من آراء تشومسكي أنه يحاول أن يؤكد لنا أن الإرهاب هو صناعة أمريكية خالصة، مبنية أساسا على النفوذ واستمرار المصالح المادية لطبقة النخبة.

ولمقاربة فهمنا هذا سنشير إلى بعض المقارنات التي سردها تشومسكي كأمثلة عن وقائع حقيقية، حيث يرى أن الدول التي تحافظ على المصالح الأمريكية وإن كانت دول غير ديمقراطية، ولا تحافظ على الحرية، ولا تصون حقوق الإنسان، فهي دول لا إرهابية، وتعامل الولايات المتحدة مع هذا النوع من الدول يكون في إطار من التبادل التجاري والاقتصادي، بل يتعدى الأمر ذلك بحيث تحصل هذه الدول بالإضافة إلى ذلك على مساعدات مادية مرحلية على حسب الظروف والحاجات.

ومن هذه الدول نختار كمثال لما قدمه تشومسكي كل من تركيا وكولومبيا، وهما دولتان حصلتا على مساعدات أمريكية ضخمة، مع العلم أن الفترة التي حصلتا فيها على هذه المساعدات كانت مرحلة حرب؛ أو إذا صح القول مرحلة إرهاب دولة.

فقد حصلت تركيا عام 1997م على مساعدات أمريكية كبيرة تمثلت في سيل غزير لأنواع الأسلحة، وهي المرحلة التي كانت تمارس فيها تركيا كل أنواع العمليات الإرهابية على مواطنيها الأكراد، إذ هجرت الملايين وقتلت وشردت الآلاف من المواطنين الفقراء، وهو الدور ذاته الذي لعبته الولايات المتحدة في كولومبيا، ذلك لما حولت دعمها الكبير من تركيا إلى كولومبيا عام 1999م، لكن هذه المرة دعمت رجال العصابات حتى صاروا جيشا الأمر الذي أدى إلى تهجير المدنيين بالقوة، وقد كانت الأعداد رهيبة، وفي المقابل تمام وعلى وجه المقارنة صنع الإعلام الأمريكي من الرئيس العراقي الراحل صدام حسين وجه الإرهاب في العالم، لما اتهمه بممارسة عمليات واسعة من التهجير من مناطق إلى مناطق أخرى داخل العراق، قد بلغت المليون نسمة، وقد استدل على ذلك تشومسكي من مقال لجريدة نيويورك تايمز كان عنوانه "العراقيون المقتلعون من أرضهم يرون في الحرب سبيلا إلى مواطنهم المفقودة"، وهو ما لم يتم التطرق إليه بالنسبة للأكراد الأتراك أو الكولومبيون المهجرون. [1]

وكأن الأوائل من أكراد وكولومبيون لم يهجروا ولم يقتلوا بينما الآخرين من عراقيين هجروا وقتلوا هم وحدهم في العالم، والأغرب من ذلك أن الأعداد من الأكراد الأتراك والكولومبيون كانوا أضعاف العراقيين ولكن غمهم الإعلام الأمريكي أيما غم، والسبب بسيط وواضح وهو أن المصالح الأمريكية في النموذجين مختلفة، فالدولتين الأوليتين حافظتا على المصالح الأمريكية بينما

1 - – تشومسكي، نعوم: الهيمنة أم البقاء، تر: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 2004، ص، ص، 64، 65.

العراق التي كانت في فترة وجيزة أحد أهم الشركاء الاستراتيجيين في الشرق الأوسط، خصوصا في فترة الحرب العراقية الإيرانية أو حرب الخليج الأولى أين كانت الولايات المتحدة تدعم الطرف العراقي ممثلا بالضبط في الرئيس صدام حسين. حيث يشار إلى أن الولايات المتحدة قامت ببيع طائرات مروحية تجاوزت قيمتها 200 مليون دولار أمريكي استخدمها الجيش العراقي أثناء الحرب الإيرانية، [1] لكن هذه المرة عارضت العراق المصالح الأمريكية وبالتالي أصبحت دولة إرهابية، تقودها قوة سياسية إرهابية.

لذلك فالقضية قضية مصالح لا غير، وبالتالي فما قاله الرئيس الأمريكي نيكسون صحيح، وقد تجسد تماما في هذا المثال، وربما نؤكد البراغماتية الأمريكية الخالصة هنا أيضا ومن نفس المصدر الذي استشهدنا منه سابقا (أشياء لن تسمع بها أبدا...) لكن هذه المرة كان الحوار الذي جرى في 10 نيسان(أبريل) 2009م مع مجلة "طهران تايمز" حيث عرض تشومسكي لرأي هنري كيسنجر من حواره مع صحيفة واشنطن بوست عن إيران وبرنامجها النووي، حيث كان كيسنجر أحد أهم الداعمين لمشروع إيران النووي في السبعينات، وقد قال في هذا الحوار عن إيران: "(كانوا دولة حليفة) لهذا هم بحاجة إلى الطاقة النووية. لم الآن فهم ليسوا حلفاء لذا لم يبقى هناك حاجة لذلك." [2]

وربما يقودنا هذا إلى تفسير الكثير من المواقف الأمريكية المخزية في العالم لعل أبرزها موقفها من القضية الفلسطينية، حيث يروج الآن في وسائل الإعلام العالمية الكبرى التي هي تحت سيطرة أمريكية طبعا أنواع التبريرات للحرب الإسرائيلية الجارية على فلسطين بالعموم وعلى قطاع غزة خصوصا، والكل يعلم أن إسرائيل شريك استراتيجي جد مهم للولايات المتحدة بما أن كبريات الشركات في العالم وكبار رجال الأعمال هم يهود، لذلك فالدفاعات الفلسطينية رغم شحها إلا أنها تتعرض لحملات دعائية تشويهية كبيرة، فنجد الكثير من وسائل الإعلام العالمية وحتى بعض الوسائل العربية منها تصف منظمة حماس الفلسطينية بالمنظمة الإرهابية، وترى بأن دفاع كتائب القسَّام الجهادية عن فلسطين وعن أهل غزة هو خرق للقانون الدولي، وأنها تنظيم إرهابي يهدد أمن واستقرار إسرائيل.

---

1 - ar.m.wikipedia.org/wiki/مساعدات_ دولية_لطرفا_القتال_في_الحرب_بين_ايران_والعراق
.تم الاطلاع على الموقع يوم: 2015/12/23

2 - أنظر: تشومسكي، نعوم: أشياء لن تسمع بها أبدا...، (م، س، ذ)، ص، 20.

ويقدم لنا تشومسكي دليلا على ذلك، فالعلاقة الوطيدة التي تربط الولايات المتحدة مع إسرائيل جعلها حليف وشريك استراتيجي قوي في منطقة الشرق الأوسط، والكل يعلم أن كبريات الشركات الأمريكية هي تحت سيطرة اليهود، وبالتالي فالعلاقة هنا هي علاقة مصالح لا غير.

يبرر تشومسكي ذلك بالاعتداءات الحربية الهمجية التي تقودها إسرائيل ضد الفلسطينيين، حيث وصل الأمر بها إلى الاعتداء على كل من يحتضن اللاجئين الفلسطينيين الفارين من الموت المحتوم، كما حدث في قصف إسرائيل للاجئين الفلسطينيين في تونس ما أدى إلى وفاة 20 تونسي، و 55 فلسطيني. [1]

ما يظهر من هذا المثال هو أن الولايات المتحدة لديها مفهوم نمطي لمصطلح الإرهاب، فمهما كانت أفعال الدول والحكومات وحتى المنضمات إرهابية ولا تمس بشكل مباشر أو غير مباشر المصالح الأمريكية، فهذا لا يسمى إرهابا، ومهما تعرضت الشعوب وحتى الأفراد إلى الأعمال الإرهابية والوحشية ولم تكن تراعي المصالح الأمريكية، أو ليس لها الموارد التي تجامل بها الوليات المتحدة الأمريكية، فهذا لا يعنيها كدولة نصبت نفسها حافظة للسلام العالمي، بل يتعدى الأمر ذلك فمهما اقترف حلفائها المباشرين من جرائم إرهابية شنيعة، فيعد هذا حربا ضد الإرهاب.

ويمكننا تدعيم موقف تشومسكي هذا برأي آخر له، حيث أكد أنه عام 1995م لقي 187 فلسطيني حتفه على يد قوات الدفاع الإسرائيلي التي تحمل عبء حماية المستوطنات، وقد دافع الفلسطينيون عن أنفسهم جراء حالات الزحف الإسرائيلي، ما أدى إلى إصابات في الطرفين، فبلغ عدد القتلى 124 إسرائيلي، و204 شهيد فلسطيني، وقد أكدت التقارير الإعلامية أن إسرائيل تقاتل الإرهابيين الفلسطينيين.[2]

الذي يظهر من كل هذا أن الفلسطينيون وهم يدافعون عن أنفسهم من حالات الاستبداد التي كانوا يعيشونها، وحالات التهجير وهدم بيوتهم بالقوة هم الإرهابيون، وإرهاب الدولة الممارس في حقهم من طرف إسرائيل، يسمى حربا ضد الإرهاب.

كما واصل تشومسكي طرحه لهذه المسألة بإسهاب لما أورد لنا أن التقارير السياسية أكدت أن هناك مجموعة أصولية إسلامية هي حركة حماس، وهي حسب تشومسكي حركة ضد الإرهاب اليهودي الإسرائيلي، قد اقترحت على إسرائيل مفاوضات هدفها

1 - CHOMSKY, Noam: Pirates and Emperors Old and New, South End Press, USA, 2002, 40.
2 - CHOMSKY, Noam : POWERS AND PROSPECTS, Pluto Press, London, 1996, P, 232.

إبعاد المدنيين من دائرة الحرب، لكن رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين رفض ذلك بحجة أن حماس هي عدو السلام، والطريقة الوحيدة للتعامل معها هي حرب الإبادة. [1]

ومواصلة لموقف تشومسكي السابق، فإن تونس حسب رأيه تعد أحد الحلفاء المقربين للولايات المتحدة، ومع ذلك لم تحرك الولايات المتحدة ساكنة حول هذا القصف والاستهلاك الصارخ لأمن وحرية الأراضي التونسية، بل على العكس التام فقد رحبت الإدارة السياسية للولايات المتحدة بهذا القصف، على لسان وزير الخارجية الأمريكي آن ذاك "شولتس" الذي أكد في اتصال هاتفي أن القصف هذا يعتبر "ردا شرعيا على الهجمات الإرهابية" وأن الرئيس وآخرون يكنون الكثير من التعاطف للعمل الذي قامت به إسرائيل، والمقصود بالإرهاب هنا الفلسطينيون. [2]

وفي الحقيقة هذا شيء معلوم لدينا فالكل يعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية لها شريك استراتيجي في الشرق الأوسط وهي إسرائيل، ونتيجة المصالح الكبرى للولايات المتحدة مع هذا الشريك فهي دائمة الوقوف إلى جانبه وفي كل الحالات.

وبالتالي فمن يقذف حجرا أو طوبا أو يرمي رصاصة دفاعا عن نفسه يسمى إرهابيا، ومن يغتصب أرض وعرض مجتمعات بأكملها ولا يعارض المصالح الأمريكية يسمى حافظا للسلام، ذلك أن أعداء الثورات العادلة هم من ورثوا مجتمعاتنا المعاصرة هذه الأفكار، فهم من حاولوا أدلجة العلاقة بين الثورة العادلة والإرهاب، ضاربين عقول العالم بتلاعب في الألفاظ والمصطلحات، حتى أصبحت أي ثورة ضد أي قوة مغتصبة إرهابا. [3]

ولم يستعص على الكثير من شعوب العالم المختلفة فهم هذا الترويج الخاطئ حول الثورة والأخلاق، ونحن نجد اليوم الكثير من الآراء التي دفعت بالسياسة الأمريكية في هذا العصر إلى مزبلة الأخلاق، ويمكن أن ننشر هنا لبعض الآراء، حيث وجدنا في شبكة كتابات وهو المركز الخبري لشبكة الإعلام العراقي مقال لحامد شهاب حول "الولايات المتحدة.. وأزمة الانبار" نفس آراء تشومسكي السياسية حول الدور السيئ الذي أضحت تقوم به الولايات المتحدة، المقال نشر في 22 أيار 2014م .

1- CHOMSKY, Noam: Pirates and Emperors Old and New, Ibid, P, 43.
2- Ibid, P, 43.
3 – خليل، خليل أحمد: السارترية تهافت الأخلاق والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط.2، 1982، ص، 82.

حيث يرى حامد شهاب أن الولايات المتحدة عمدت إلى خلق حالة من الخلط الشديد بين "الإرهاب" وأنواع "المقاومة" الوطنية. [1] بمعنى أنها تسعى للمحافظة على مصالحها بأي وسيلة تكون ناجحة حين ذاك، فترمي أي بريء مدافع عن نفسه بأي تهمة لاستمرار مصالحها، وهذا معيار براغماتي خالص، وربما يكون معيار المرونة والمراجعة هو هذا المعيار الذي نتحدث عنه، وبالتالي فقد عرفت البشرية على هذا النحو تراجعا رهيبا في الجانب الخلقي رغم ما وصلت إليه من تطور، بمعنى أننا عدنا لقانون الطبيعة، قانون الغاب حيث القوي فيه يأكل الضعيف.

الببليوغرافية:

القرآن الكريم (برواية حفص)

المصادر باللغة العربية:

- تشومسكي، نعوم: أشياء لن تسمع بها أبدا...، تر: أسعد الحسين، دار نينوى، دمشق، د. ط (دون طبعة)، 2010.

- تشومسكي، نعوم: السيطرة على الإعلام، تر: أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003.

- تشومسكي، نعوم: الهيمنة أم البقاء، تر: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 2004.

المصادر باللغة الانجليزية:

- CHOMSKY, Noam: Pirates and Emperors Old and New, South End Press, USA, 2002.

- CHOMSKY, Noam : POWERS AND PROSPECTS, Pluto Press, London, 1996

المراجع:

– الجوجري، عادل: برنارد لويس سياف الشرق الأوسط ومهندس سايكس بيكو 2، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة.

- المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، د.ط، 2001.

1 - http://www.kitabat.com/ar/page/22/05/2014/28377/القيمي-والإنحطاط-والانبار-وأزمة-المتحدة-الولايات-الأخلاقي-والتدهور.html

تم الاطلاع على الموقع يوم: 2015/12/23

- خليل، خليل أحمد: السارترية تهافت الأخلاق والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط.2، 1982.

– روا، أوليفيه: تجربة الاسلام السياسي، تر: نصير مروة، دار الساقي، بيروت، ط.2، 1996.

المعاجم والموسوعات:

- ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة، 1981.

- أحمد، أبي الحسين، بن فارس، بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ 1979م.

- أندريه، لالاند،: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، الطبعة الثانية، 2001.

- جميل صليبا،: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبنانية، بيروت-لبنان، د. ط (دون طبعة)، 1982.

- محمد، مجد الدين، بن يعقوب، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، إش: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ط.8، 2005.

المواقع الإلكترونية:

مساعدات_ دولية_ لطرفا_ القتال_ في _الحرب_ بين_ايران_ والعراق/ar.m.wikipedia.org/wiki-

تم الاطلاع على الموقع يوم: 2015/12/23.

- http://www.kitabat.com/ar/page/22/05/2014/28377/الولايات-المتحدة- والتدهور-الأخلاقي-وأزمة-الانبار-والإنحطاط-القيمي-.html

تم الاطلاع على الموقع يوم: 2015/12/23

فهرس الاعلام:

- أوليفييه روا (Olivier Roy)، (ولد 1949) عالم سياسة فرنسي وأستاذ جامعي في معهد الجامعة الأوروبية في فلورنسا، إيطاليا.
- برنارد لويس (Bernard Lewis)، (من مواليد 31 مايو 1916، لندن) أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب وتشتهر خصوصا أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية.
- هنري ألفريد كسنجر والأصح هاينز ألفريد كسنجر (Henry Kissinger)، (27 مايو1923 في فورث، ألمانيا) باحث سياسي أمريكي وسياسي ألماني المولد والنشأة، كان أبوه معلماً، وبسبب أصله اليهودي هرب هو وأهله في عام 1938 من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً من النازيين الألمان, التحق بمعهد جورج واشنطن في نيويورك, حصل على الجنسية الأمريكية عام 1948 والتحق بالجيش في نفس العام, شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية من 1973 إلى 1977 وكان مستشار الأمن القومي في حكومة ريتشارد نيكسون.